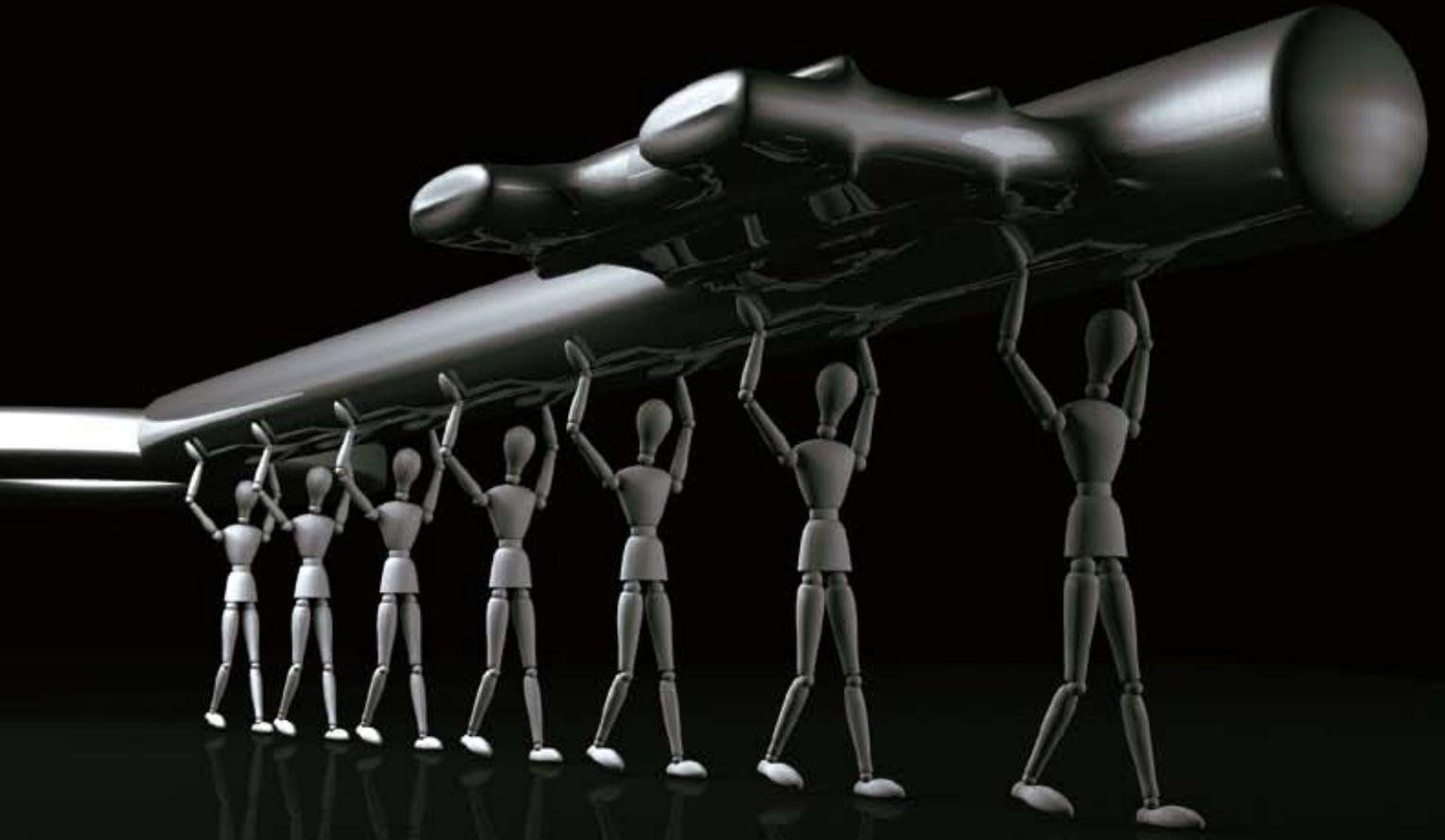


العنوان:	تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الغربي
المصدر:	مجلة الدبلوماسية
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
مؤلف:	هيئة التحرير(عارض)
المجلد/العدد:	ع 39
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2008
الشهر:	مارس - ربيع الأول
الصفحات:	38 - 42
رقم MD:	386180
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الحدثة ، المواطنة ، الفكر السياسي ، العالم الغربي ، اللغة العربية ، المعاجم اللغوية ، اللغة الإنجليزية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/386180



تطور مفهوم المواطنة، في الفكر السياسي الغربي

● الدبلوماسي - خاص

المواطنة Citizenship مفهوم قد يضيق وقد يتسع، قد يضيق ليقصر على نخبة، وقد يتسع ليشمل عدة نخب، وقد يزداد اتساعاً فيشمل كل المنتمين إلى دولة ما أو أمة، وفي أحيان قليلة، لا تتجاوز اليوتوبيات إلا نادراً، ربما يشمل مفهوم المواطنة كل الجنس البشري في إطار دولة عالمية قد يكون لها شكل الدولة الواحدة، وقد يكون لها شكل التكوين الفيدرالي الذي يجمع عدة دول في إطار حكومة عالمية أو عصبة أمم.

المواطنة بين انعدام وضيق واتساع!

مع أن هناك كتابات كثيرة، تناولت مفهوم المواطنة، إلا أنه لا يزال مفهوماً إشكالياً تختلف حوله التحليلات الفلسفية، وتتعارض في شأنه النظريات الاجتماعية، ولم تنته النظرية السياسية إلى رأي أخير يوضح ماهيته، وبالتالي لا تزال تتباين في تحديد معالمه ومضمونه في الأنظمة السياسية عبر العالم، بل عبر أحزاب الدولة الواحدة. ثم إن أغلب البحوث تستغرق في التعريفات الإجرائية أو الاصطلاحية، رغم أنه مفهوم حي يتحرك في إطار سيروية تاريخية غير منقطعة.

في هذه الدراسة لن يتم التوقف عند مجرد التعريف الاصطلاحية لمفهوم المواطنة، بل سوف يتم تحليل تطوره وسماته ككائن حي له ماض وحاضر ومستقبل، ينشأ وينمو ويتطور، ويتراجع ويتقدم، ويقوى ويضعف، ويتداخل ويتخارج مع مفاهيم أخرى.. إلخ، دون أي اقتطاع للمفهوم من وضعيته التاريخية، وجذوره، وما آل إليه حتى اللحظة الراهنة. فلا يمكن فهم واقع مرحلة بعينها دون معرفة ماضيها ومستقبلها.

ويقدر ما أصبح مفهوم المواطنة مفهوماً حياً ومتحركاً في إطار سيروية تاريخية مستمرة بقدر ما أثار صعوبة واضحة في إيجاد تعريف مانع وجامع، فما تعني بالمواطنة؟ وما أبرز أسسها؟

لا مجال للمعالجة الإجرائية

المفهوم، كما قلنا، كائن حي، ينشأ وينمو ويتطور، له ماض وحاضر ومستقبل. وإذا كان من مهام هذا البحث تحليل المفهوم في تطوره، فإننا سوف نتوقف مرحلياً في هذه النقطة عند المعالجة الاصطلاحية. مع التنويه إلى أن المعالجة الإجرائية لا مجال لها هنا، لأنها أدخلت في العلوم الاجتماعية الإمبريقية التي تتم فيها عملية تحويل مفهوم نظري مجرد إلى شيء ملموس، يمكن ملاحظته وقياسه في مشروع بحثي إمبريقي تكون فيه التعريفات الإجرائية ذات أهمية حاسمة لعملية القياس. ولذا فهي أكثر عناصر تصميم البحث إثارة للجدل والاختلاف.

غياب المواطنة من المعاجم العربية التقليدية لا توجد في المعاجم العربية التقليدية كلها أي ذكر لكلمة «المواطنة»، لكن توجد كلمات: «وطن، توطن، واطن، الوطن، موطن...».

فالوَطُنُّ في اللغة العربية: المَمَزَلُ تقيم به، وهو مَوْطِنُ الإنسان ومجله، والجمع أَوْطَانٌ. وَطَنٌ

بالمكان وَأَوْطِنَ أَقَامَ. وَأَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَنًا. يقال: أَوْطِنَ فلانٌ أرضاً كذا وكذا أي اتَّخَذَهَا مَحَلًّا وَمَسْكَنًا يقيم فيها. والمَوْطِنُ: المشْهُدُ من مَشَاهِدِ الحَرْبِ. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾. وَأَوْطِنْتُ الأَرْضَ وَوَطِنْتُهَا تَوَطَّيْتُهَا وَاسْتَوَطِنْتُهَا: أي اتَّخَذْتُهَا وَطَنًا، وكذلك الأَطْنَانُ، وهو افتعال منه. أما المَوْطِنُ فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو مَوْطِنٌ له، ووَاطِنُهُ على الأمر: أَضْمَرَ فعله معه، فإن أراد معنى وافقه قال: واطمأ. تقول: واطننت فلاناً على هذا الأمر إذا جعلتما في أنفسكما أن تفعلاه، وتَوَطَّيْتُ النَّفْسَ على الشيء: كالتهميد، وقيل: وَطَنُ نفسه على الشيء وله فتَوَطَّيْتُ حملها عليه^١.

فالمواطنة إذن كلمة لها أصل عربي مرتبط بموطن الإنسان ومستقره وانتمائه الجغرافي، لكنها هي نفسها كتركيب ومصطلح تم استحداثها لتعبر عن الوضعية السياسية والاجتماعية والمدنية والحقوقية للفرد في الدولة.

وربما يتساءل بعضهم: هل يعبر غياب مصطلح «مواطنة» من المعاجم العربية القديمة عن غياب المفهوم نفسه من الحياة السياسية العربية؟ أم أن الأمر ليس أكثر من مصادفة لغوية؟ أم أن هناك كلمات أخرى تعبر عن المضمون؟ أم أن تقنيات الاشتقاق اللغوي هي المسؤولة عن ذلك؟ ربما الإجابة عن هذه الأسئلة موضعها بحث آخر حتى لا نخرج عن موضوع هذا البحث، فهو خاص بالمواطنة في الغرب وليس عند العرب.

المواطنة في المعاجم الغربية في السياق الغربي نجد لمصطلح المواطنة حضوراً قوياً في المعاجم اللغوية، وعلى سبيل المثال، في اللغة الإنجليزية يشير المصطلح Citizenship إلى المساهمة في حكم دولة ما على نحو مباشر أو غير مباشر. كما يستخدم، أحياناً، للدلالة على العملية أو الحالة التي يعد الفرد بمقتضاها مواطناً مجرد أنه يعيش في رحاب دولة معينة، أو ينتمي إليها ويخلص لها، ومن ثم يحظى بالحماية. وفي معجم هاراب مثلاً: «المواطن هو «أ» ساكن المدينة. «ب» شخص له كل الحقوق كساكن في دولة. أما المواطنة فهي الاسم الذي يدل على حالة State وجود المواطن».

ويتجاوز مفهوم «المواطن Citizen» المعنى المعجمي ليدل على الفرد الذي يتمتع بالحقوق السياسية ويتحمل، أيضاً، واجبات المشاركة،

ويشير مفهوم المواطنة Citizenship إلى فعل المواطن وعملية المشاركة نفسها. فالمواطن هو عضو في المجتمع السياسي

يتمتع بالحقوق ويقوم بواجبات العضوية. هذا التعريف الواسع يمكن أن يرى مع اختلافات قليلة في أعمال مفكري القرن الثامن عشر، وأيضاً في مادة مواطن في موسوعة Encyclopédie ديديرو Diderot ودالمبير 1753 D.Alembert. فالموسوعة تعرف المواطن على أنه عضو في مجتمع حر مكون من عدة أسر، التي تتشارك في حقوق هذا المجتمع وتتمتع بخصائصه. وفي الموسوعة، أيضاً، المواطن «وهو الذكر فقط» والأسرة، هم مجموعة من وحدات بناء المجتمع غير المتنازع عليها.

إن الاهتمام الرئيس للموسوعة الذي يمكن أن يفهم بالنسبة لأشخاص يعيشون في ظل نظام ملكي a Monarchy، كان هو العلاقة بين مفهومي المواطن Citizen والرعية Subject. لكن هل الاثنان يحملان المعنى نفسه، كما يقرر هوبز Hobbes، أم أن بينهما تناقضاً كما يفهم من أرسطو Aristotle؟

لا يوجد في المعاجم العربية كلها أي ذكر لكلمة «المواطنة»، لكن توجد كلمات: «وطن، توطن، واطن، الوطن، موطن...»

يشير مفهوم الرعية أو الرعايا في الفكر الغربي «٢» إلى أعضاء مملكة أو دولة ليس لهم ذات حقوقية مستقلة. فالذات الحقوقية المستقلة هي شخص الحاكم المتمتع بكل الامتيازات، فهو صاحب السلطان وحده، ولا يملك أحد أن يراجعه، فعلاقته بهم هي علاقة الراعي بقطيعه، وهو يستمد هذا السلطان بالغبلة، بفعل النسب أو العصبية أو القوة، أو ربما بالشرعية الإلهية. ومن ثم فمفهوم الرعية مخالف لمفهوم المواطن بوصفه ذات حقوقية مستقلة.

١، يتصرف عن: ابن منظور، لسان العرب بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ. ج ١٣ / ص ٤٥١.

٢، جدير بالتنويه هنا أننا نتحدث عن مفهوم الرعية في الفكر الغربي وليس في الفكر الإسلامي، ولا ينطبق تحليل مفهوم الرعية الغربي بالضرورة على مفهوم الرعية في الفكر السياسي الإسلامي.

المواطنة وتوازن الحقوق والواجبات في

الفلسفة السياسية المعاصرة
المواطنة في شكلها الأكثر اكتمالاً في
الفلسفة السياسية المعاصرة هي الانتماء
إلى الوطن انتماء يتمتع المواطن فيه
بالعضوية كاملة الأهلية على نحو يتساوى
فيه مع الآخرين الذين يعيشون في الوطن
نفسه مساواة كاملة في الحقوق والواجبات،
وأمام القانون، دون تمييز بينهم على أساس
اللون أو العرق أو الدين أو الفكر أو الموقف
المالي أو الانتماء السياسي. ويحترم كل
مواطن المواطن الآخر، كما يتسامح الجميع
تجاه بعضهم بعضاً رغم التنوع والاختلاف
بينهم.

وثمة توازن بين الحقوق والواجبات،
فالمواطنة ليست حقوقاً فقط، بل واجبات،
أيضاً. وإذا كانت المواطنة تعطي المواطن
حقوق المواطنة «الحقوق المدنية، الحقوق
السياسية، الحقوق الاجتماعية، الحقوق
القانونية.. الخ»، فإنها في المقابل تضع على
عاتقه مجموعة من الواجبات القانونية،
والالتزامات المنوطة، ومسؤوليات المواطنة،
كما تفرض عليه الولاء التام للوطن. ويحمي
القانون ويضمن للجميع الحقوق المدنية
والسياسية بما فيها حق المشاركة وصنع
القرارات، كما يضمن تحقيق الإنصاف
الاجتماعي والاقتصادي، فضلاً عن حماية
كرامة كل مواطن وحرية واستقلاله.

كان التأسيس الحدائي بشقيه الابستمولوجي والعملي، هو الأرض الخصبة التي نما فيها مفهوم المواطنة

ولذا تشير موسوعة الكتاب العالمي إلى
أن «المواطنين لهم بعض الحقوق، كحق
التصويت، وحق تولي الوظائف العامة،
وعليهم، أيضاً، بعض الواجبات، كواجب دفع
الضرائب، وواجب الدفاع عن وطنهم».
وتسير في سياق المقابلة بين الحقوق
والواجبات «دائرة المعارف البريطانية
Encyclopedia Britannica»، حيث
تؤكد أن المواطنة يحدها دستور الدولة،
وهي تضيق وتوسع بحسب طبيعة العلاقة

التي تنشأ بين الفرد والدولة وما تفرضه تلك
العلاقة من واجبات على المواطن، وما تعطيه له
من حقوق. وتشير المواطنة إلى قدر من الحرية
يتمتع به المواطن، بالإضافة إلى ما يلزم تلك
الحرية من مسؤوليات تقع على عاتق المواطن تجاه
الدولة. وتعطي المواطنة بشكل عام للمواطن حقوقاً
سياسية من قبيل حق المشاركة في الانتخابات وحق
الوصول إلى المناصب العامة.

وتشمل حقوق المواطنة عند توماس همفري
مارشال Thomas Humphrey Marshall:
الحقوق السياسية، والحقوق الاجتماعية، والحقوق
المدنية. والحقوق السياسية هي التي تصنع المواطنة
السياسية، وتتمثل في حق المشاركة بالتصويت أو
الوصول إلى المناصب السياسية. وتتحقق المواطنة
الاجتماعية من خلال الحقوق الاجتماعية وهي
حق الحياة الكريمة، وحق التعليم والرعاية الطبية
وغيرها. أما الحقوق المدنية فتشمل الحقوق التي
يتمتع بها الفرد بصفته مواطناً، مثل الحقوق
الشخصية، وحق الملكية، وحق الحياة والكرامة
والحرية الفردية، وتكافؤ الفرص، والمساواة بشكل
عام، وغيرها من الحقوق الواردة في «الإعلان
العالمي لحقوق الإنسان»

١٩٤٨. وتلك الحقوق

تتحدد بوساطة

الحكومات،

وتضمنها

الساتير

والقوانين،

و تصونها

الهيئة

القضائية.

ويوجد

توتر بين عناصر

المواطنة الثلاثة

وأليات عمل السوق

الرأسمالي، من حيث إن

هذه الأخيرة تؤدي إلى درجة ما من

اللامساواة الاجتماعية. أما المواطنة

فتعمل على إعادة توزيع الموارد

وتأكيد تساوي الجميع في الحقوق.

لكن ثمة نقاط ضعف في تصور

مارشال، منها وجود عناصر

أخرى للمواطنة غفلت عنها

نظريته، مثل المواطنة الاقتصادية،

كما لم تلتفت نظريته إلى العمليات

الاجتماعية التي لها تأثير سلبي في المواطنة،

كما غاب عنها التحليل المقارن، إذ لم تخرج عن
حدود تحليل المواطنة في التجربة الإنجليزية.

وتصل المواطنة، وهكذا ينبغي أن تكون، إلى

درجة العضوية الكاملة في دولة ما، لأنها تأتي كعقد

وتضامن بين أناس أحرار على الدرجة نفسها من

الحقوق والواجبات. وهي أساس التضامن القومي.

كما نجد مثلاً عند تالكوت بارسونز، المتأثر

بالنموذج الأمريكي، والذي قام تصوره للدولة

القومية الحديثة على أساس المواطنة، فالمواطنة

عنده هي أساس الولاء والانتماء إلى الأمة القومية.

وهذا عكس التصورات الكلاسيكية التي كانت

ترى أن القومية هي أساس المواطنة، بمعنى أن

المواطنة كانت نتيجة للانتماء إلى القومية. أما

مع بارسونز، فإن المواطنة هي أساس القومية، أي

أن الانتماء القومي يأتي نتيجة المواطنة، فالمواطنة

تكفي وحدها للانتماء إلى الأمة.

ويرى بارسونز أن تطور المواطنة يعد مقياساً

لدرجة تحديث المجتمع، لأنها تعتمد على

قيم العمومية Universalism

والإنجاز Achievement.

وجدير بالذكر أن العمومية

تشير إلى مستويات القيمة

التي هي على



درجة كبيرة من العمومية، في مقابل الخصوصية Particularism التي تشير إلى المستويات التي لها دلالة لفاعل معين في علاقات معينة مع أشخاص معينين. أما الإنجاز أو الأداء فيشير إلى التأكيد على تحقيق أهداف معينة، في مقابل النوعية «العزو أو النسبة» Ascription التي تشير إلى خصائص الشخص الآخر، أي التأكيد على الحقيقة التي مؤداها أنه كذا وكذا، كأن يكون أبو الفاعل طبيياً مثلاً وهكذا.

هذا عن التعريف الاصطلاحي لمفهوم المواطنة، أما تطوره وسماته ككائن حي له ماضٍ وحاضر ومستقبل، ينشأ وينمو

ويتطور، ويتراجع ويتقدم، ويقوى ويضعف، ويتداخل ويتخارج مع مفاهيم أخرى... إلخ، فهذه مهمة دراسة أخرى، إن شاء الله تعالى، لكن يمكن أن نشير إليها هنا بإجمال.

التأسيس الحدائي للمواطنة

لقد سارت المواطنة تارة في اتجاه المواطنة على مستوى دولة، أو المدينة، أو مستوى الدولة الوطنية، أو مستوى الإمبراطورية، أو الدولة القومية، وتارة أخرى على مستوى العالم كله، أي الدولة العالمية. وفي الوقت الذي انتشر فيه، سواء مفهوم الدولة الوطنية أو القومية، نجد أن مفهوم الدولة العالمية، ومن ثم مفهوم المواطنة العالمية، يجابه مشاكل وعثرات كثيرة.

لقد كان التأسيس الحدائي بشقيه الابستمولوجي والعملي، هو الأرض الخصبة التي نما فيها مفهوم المواطنة في شكله الحدائي الأكثر تطوراً. فجوهر الحدائفة في تصور الإنسان، هو النظر إليه بصفته نقطة البدء في المعرفة والعمل. إنه العقل الخالص، أو الذات المفكرة، أو الكوجيتو «الأنا أفكر إذن أنا موجود»، إنه صاحب الإرادة الحرة، والفاعلية في المجتمع والسياسة والاقتصاد، بل وفي التاريخ. وهكذا ظهرت العقلانية كتعبير عن الذات وفعاليتها في المعرفة والسياسة. وهكذا صار كل شيء موضوعاً أمام العقل لتمثله وفهمه، وإصدار الحكم عليه. وأصبحت السياسة استنباطاً من العقل المشترك، ومن خلاله يتمكن الإنسان من سيطرته النظرية والعملية على العالم: الكون والدولة، الذي صار قابلاً للمعرفة على المستوى الابستمولوجي، وقابلاً لإعادة التشكل على المستوى السياسي.

ويتأكد لدينا الارتباط بين الحدائفة والمواطنة، عندما نقف عند المنجزات الفكرية السياسية للحدائفة: القانون الطبيعي، وحقوق الإنسان، والعقد الاجتماعي، والفصل بين السلطات، والنظام السياسي الدستوري، والمجتمع المدني، والديمقراطية. فليس هناك مجتمع مدني دون مواطنة، ولا مواطنة دون ديمقراطية، ولا ديمقراطية حقيقية دون مواطنين بمعنى الكلمة، يمارسونها وينظمون

على أساسها علاقاتهم مع بعضهم بعضاً من جهة، وعلاقاتهم مع الدولة من جهة أخرى.

وإذا كانت إيطاليا لعبت الدور الأهم في القرن السادس عشر بسبقها إلى عصر النهضة، وإنجلترا قد افتتحت عصر المواطنة الحديثة بثورتها المجيدة في نهاية القرن السابع عشر، فإن مركز الثقل في الفكر السياسي الليبرالي، قد انتقل، من إنجلترا إلى فرنسا مع بداية القرن الثامن عشر، التي شهدت حركة ازدهار مجموعة من الفلاسفة الليبراليين الكبار، مثل: مونتسكيو، وفولتير، وروسو، وجماعة الإنسكلوبيديا، وغيرهم من أولئك الذين نظروا فلسفياً للحرية والحقوق الطبيعية للفرد والمجتمع، وعرضوا بالاستبداد والملكية المطلقة ونظرية الحق الإلهي.

ومن ثم كان الدور المركزي في هذا القرن لفرنسا التي تزعمت في هذه المرحلة مسيرة الحدائفة، وكان لها قصب السبق في نهاية عصر التنوير بنجاح الثورة الفرنسية التي تشكل المرجعية المركزية للأنظمة السياسية الحديثة. كما لعبت الولايات المتحدة دوراً على المستوى السياسي في الثورة الأمريكية، وليس على أساس التأسيس الفلسفي، فقد كانت عالية على أوروبا في المجال الأخير.

يتأكد لدينا الارتباط بين الحدائفة والمواطنة، عندما نقف عند المنجزات الفكرية السياسية للحدائفة

التطور الأفقي والرأسي للمواطنة من ناحية أخرى، مر مفهوم المواطنة في إطار الدولة الوطنية ذات السيادة، بتطور أفقي من ناحية، وتطور رأسي من ناحية أخرى. فالمفهوم كائن حي، ينشأ وينمو ويتطور، له ماضٍ وحاضر ومستقبل، بل له، أيضاً، سمات الكائن الحي من صحة ومرمض. فطوال العصور الوسطى الأوروبية من سنة ٣٠٠م إلى ١٣٠٠م، رغم بعض الاستثناءات، ظل هزيباً، حتى ظهرت





«عريضة الحقوق» في إنجلترا سنة ١٦٨٩، ويؤرخ بها بعضهم لبداية التنوير الأوروبي. فالتطور الأفقي سار في اتجاه توسيع قاعدة المواطنة من الأقلية الأرستقراطية إلى شمول طبقات أخرى تدريجياً وبمرور الزمن، لكن حتى الآن، رغم كل المواثيق وإعلانات حقوق الإنسان، لم تشمل المواطنة كل الأفراد من الناحية العملية.

أما من ناحية التطور الرأسي، فقد تطور المفهوم بشكل مواز لتطور المشاركة في صنع القرار السياسي، وممارسة السلطة، وتوسيع رقمتها، حيث التقدم تدريجياً نحو تحول سلطة اتخاذ القرار من يد شخص واحد عبر مستويات متوسطة إلى يد عامة المواطنين، وفق الآليات الديمقراطية. وبحسب دراسات عالم الاجتماع «هانس»، فقد «درس صناعة القرار في الجمعيات الصغيرة والبلديات والحكومات المحلية، واستنتج منها مبادئ عامة حددها في المستويات الستة المذكورة أعلاه. انظر: د. منصف المرزوقي، «سقط الوطنية، عاشت المواطنة»، مجلة العصر، ٢٠٠٤، ١٢، ٢٧، أقول، حسب دراسات هذا العالم: إن أي ممارسة للسلطة لها ستة مستويات كالآتي:

• المستوى الأول: القرار الفردي لرأس السلطة.

• المستوى الثاني: إعلام الجمهور بالقرار دون أخذ رأيهم.

• المستوى الثالث: استشارة الجمهور دون الأخذ برأيهم.

• المستوى الرابع: استشارتهم والأخذ برأيهم.

• المستوى الخامس: إشراكهم في مواجهة القضايا وحل المشاكل.

• المستوى السادس: وجود سلطة اتخاذ القرار في يد عامة المواطنين وفق الآليات الديمقراطية.

ولا يوجد في جميع الأحوال بالضرورة فصل كامل بين هذه المستويات الستة، فأحياناً يتأرجح الديكتاتور بين أكثر من مستوى كعملية من عمليات الخداع والتضليل، مثلما يحدث في الديمقراطيات المزيفة بكل أساليبها المعروفة.

وأفضل مستوى تتحقق فيه المواطنة هو المستوى السادس، حيث تتسع قاعدة

إلغاء الرق سنة ١٨٠٠، ولم تتحقق لهم المواطنة إلا سنة ١٩٦٥.

ولم تضع الثورة الفرنسية حداً للعبودية إلا في عام ١٨٤٨، أي في منتصف القرن التاسع عشر. واستمرت المرأة على المستوى السياسي محرومة من ممارسة الحقوق السياسية ومباشرتها، كما ظلت خارج دائرة المواطنة لمدة طويلة.

فلم تعترف فرنسا بحق النساء في التصويت إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي إنجلترا لم تحصل المرأة على المساواة السياسية وحق المواطنة بمعناه الشامل إلا في سنة ١٩٢٨ بصور قانون المساواة في الانتخابات بين الرجل والمرأة.

ولم يتبلور مفهوم المواطنة من الناحية النظرية إلا سنة ١٩٤٨، بصور «الإعلان العالمي لحقوق، واجبات الإنسان». طبعاً نظرياً! أما الواقع الفعلي المتعين، فلا تزال تعترض فكرة المواطنة تحديات كبيرة في كثير من بلدان العالم بما فيها بلدان العالم الغربي! ●

المواطنة بمفهومها الشامل، فكل الأفراد مواطنون لا يوجد بينهم أي تمييز في الحقوق والواجبات، وتحكمهم المساواة في كل التعاملات المجتمعية بغض النظر عن الدين، العرق، اللغة، الجنس، أو الأصل الاجتماعي.. إلخ. ويشاركون حسب الآليات الديمقراطية في صناعة القرار.

وفي عصر التنوير تطور أفاقاً مفهوم المواطنة في أبعاده السياسية والاجتماعية والمدنية، كما تطور رأسياً حسب هذا السلم على الأقل من الناحية النظرية، لكنه لم يصل أبداً إلى المستوى الخامس أو السادس.

وبلغ مفهوم المواطنة ذروة تطوره المرحلي في القرن الثامن عشر مع الثورة الفرنسية والأمريكية. لكنه لم يصل إلى ذروة اكتمال المواطنة، حيث حرمت الثورتان قطاعاً من الناس من حق المواطنة. فدستور الثورة الأمريكية لسنة ١٧٨٧ استبعد النساء، والهنود الحمر، والجنس الأسود من دائرة المواطنة. وظل هذا الوضع قائماً رغم